مجلة الرائد

العدد : ٢١٦ الموافق في شوال ١٤٢٠ هجري ٢ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : متى ندرك أبعاد الصراع في بلاد المسلمين ؟	بقلم : عبد الله هارون

إن الذي يراقب الصراع الدائر في بلاد المسلمين يصاب بالحيرة والدهشة !!! فصور الصراع تتكرر مع أن الجوهر واحد ، ومن المؤسف أن غير المسلمين يستفيدون من تجاربهم الذاتية وتجارب غيرهم ، أما المسلمون فإنهم على حالهم ؛ لا الواقع أدركوا ، ولا العبر أخذوا ، ولا الدروس استفادوا ، وهم الذين حذرهم رسول الله ﷺ فقال : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » متفق عليه .

وسوف أعرض نموذجاً لتكرار الأحداث في منطقتين ساخنتين هما : القفقاس وإندونيسيا .

أولاً : الصراع الروسي مع المسلمين في القفقاس :

لقد تكررت الهجمات في صور مختلفة لجوهر واحد هو الصراع مع المسلمين لسلخهم عن هويتهم أو إبادتهم :

١) غزا الروس القياصرة منطقة القفقاس في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، وسجل التاريخ مقاومة الشعب الشيشاني لهذا الاستعمار ، وقدم من خلال هذه المقاومة صوراً نادرة من البطولات ، وجاهد مستبسلاً تحت قيادة الشيخ شامل زهاء أربعة عقود ، ولم يتمكن القياصرة الروس من إحكام السيطرة على المنطقة إلا بعد القبض على القائد الشيخ عام ١٨٥٩م ، والملاحظ أن الشعوب الإسلامية الأخرى لم تهب لنصرة المسلمين الشيشان !!

٢) استولى الشيوعيون على مقاليد السلطة في روسيا عام ١٩١٧م ، وحكموا البلاد بالحديد والنار ، وشددت الحكومات المتتالية خلال أكثر من سبعة عقود الحصار على الشعوب المسلمة التي كانت تحت احتلال " الاتحاد السوفييتي " ، وخاصة منطقة القفقاس التي ظهرت مقاومتها للاحتلال ، فتمت عمليات تطهير عرقي بالقتل والإبعاد ، فعمل الشيوعيون على القضاء على ما هو إسلامي جوهراً ومظهراً .

ولكن العقيدة التي قامت على التوحيد والإيمان بالله ظلت لها في قلوب الشيشان آثار ، والتي ظهرت بعد انهيار الشيوعية ، وتفكك " الاتحاد السوفييتي " ، فطالب الشيشان بالاستقلال والتحرر مثل غيرهم من المناطق والأعراق الأخرى ، ولكن الروس أرسلوا لهم قوات الجيش لقمع حركتهم وكتم أنفاسهم .

٣) وبعد أن أعلن القائد الشيشاني " دودايف " استقلال الشيشان عن الاتحاد الروسي ، تحركت قوات ضخمة من العسكر ومعهم آلة الحرب المتطورة لتأديب " المتمردين " كما قيل آنذاك !! ، ولكن الشعب الشيشاني الذي لا يتجاوز تعداده المليون ونصف ظل يقاوم هذه القوات - التي أعلنت أنها ستحتل

" جروزني " خلال أيام - أكثر من عشرين شهراً في الفترة من عام ١٩٩٤ إلى ١٩٩٦م ، حتى اضطرت القيادة الروسية إلى اتفاقية ظهرت من خلالها هزيمة الروس .

٤) لم يقبل الروس ما حدث عام ١٩٩٦م ، فافتعلوا أحداثاً لغزو الشيشان والداغستان ، وبالفعل تحركت القوات العسكرية الروسية بآلات الحرب الفتاكة التي تلقي القنابل والصواريخ من الجو والأرض في محاولة لإبادة الشعب الشيشاني وقد استفادت هذه القوات من تجارب الماضي فقامت بإرهاب كل من يريد المساعدة - حتى الإنسانية منها - ، والاستيلاء على المدن واحدة بعد الأخرى ، وقد رافق هذه الأعمال منذ حوالي أربعة شهور إعلام مُضَلل ، ورافق ذلك أيضاً تواطؤ غربي وصمت رهيب في البلاد العربية والإسلامية ، والذي يتابع ما يقع يتبين له ما يلي :

(١) استفاد الروس من تجارب الماضي في مواجهة المجاهدين المسلمين .

(٢) عقدت صفقات بصمت الروس لتحقيق الغرب مصالحه إلى حد كبير في منطقة البلقان ، في مقابل صمت الغرب في دخول الروس إلى منطقة الشيشان بالقضاء على شعبها الذي يتصدى للروس ، وهذا مفهوم .

(٣) ولكن الأمر غير المفهوم حتى الآن لماذا هذا الصمت العربي والإسلامي الذي يصل إلى حد التواطؤ ؟ هل لأن الروس زعموا أنهم يحاولون القضاء على " الإرهاب " ؟! ، أم أن هناك مصالح أخرى غير ظاهرة ؟ !

(٤) الصراع في هذه المنطقة يتوافق مع الصراع في المناطق الأخرى التي تدخل في مناطق النفوذ للقوى المتنفذة في هذا العالم بحسب قدرتها على تحقيق مصالحها.

ثانياً : الصراع الطائفي في إندونيسيا :

تطورت الأوضاع الإصلاحية في إندونيسيا ، وانتهى هذا الإصلاح الجزئي إلى وصول رئيس حزب " إسلامي " هو " عبد الرحمن واحد " إلى الفوز برئاسة الدولة ، وفازت رئيسة حزب علماني هي " ميجاواتي " بمنصب نائب رئيس الجمهورية ، وخلال هذه الفترة استفادت الأقلية النصرانية في البلاد من الظروف وبدأت بالصراع الذي نتج عنه ما يأتي :

١) بعد أحداث العنف والشغب في تيمور الشرقية ، طالب النصارى الكاثوليك بالاستقلال ، وقامت الحكومات الغربية بزعامة أمريكا بالضغط على الرئيس الإندونيسي السابق " حبيبي " من أجل إجراء الاستفتاء ، والذي صرح به فجاءت النتيجة لصالح الانفصاليين ، وفي فترة قياسية - لم يكن لها مثيل في

تاريخ الأمم المتحدة - تمّ إرسال قوات عسكرية لحماية النصارى هناك ، بعد ممارسة الغرب لكل ألوان الضغط الاقتصادي والإعلامي ، وبعد أن هدد مجلس الأمن باتخاذ قرار بمعاقبة إندونيسيا ، وهدد صندوق النقد الدولي بتأخير مستحقات إندونيسيا وقدرها مليار ونصف المليار دولار ، وهدد البنك الدولي بقطع المعونة التي كان اشترطها لإجراء الاستفتاء ، كل ذلك سرّع في استقلال تيمور الشرقية.

٢) ومنذ عام اندلعت أعمال عنف من النصارى ضد المسلمين في جزيرة امبورك مات فيها أكثر من ألفين أكثرهم من المسلمين الذين امتلأت المقابر بهم فدفنهم الأحياء على أرصفة الشوارع ، وتدخل الجيش فهدأت الأحداث ، ولكنها منذ أيام اندلعت في جزر ملوك حيث قام النصارى بأعمال عنف ضد المسلمين ، فخرج المسلمون في جزيرة تنبوك للاحتجاج على موقف الحكومة ، ولكن سرعان ما تحولت هذه المظاهرة السلمية إلى اشتباكات بين المسلمين والنصارى ، وقام المسلمون بحرق بيوت للنصارى وكنيسة ، وقد دفعت موجة الغضب هذه النصارى إلى الاحتماء بمراكز الشرطة ، والفرار إلى جزر مجاورة أو السفر إلى خارج البلاد في حماية الشرطة .

٣) كما نظم مئات القرويين من قرية بنتال القريبة من سنغافورة مظاهرة احتجاج على التعويضات الزهيدة التي دفعتها الحكومة الإندونيسية مقابل مزارعهم التي استولت عليها السلطة لإقامة مشاريع سياحية .

وأقام المزارعون الحواجز على الطرق بعد تصاعد أعمال العنف في الجزيرة عندما نظم الأهالي مسيرة ضد الحكومة ، وانتشر رجال الشرطة والجيش لحماية المناطق السياحية بعد أن توعد الأهالي باللجوء إلى العنف وهدم أبنية المناطق السياحية إذا لم تحل الحكومة الإندونيسية مشاكلهم في وقت قريب .

٤) وأخيراً قامت أعمال عنف في إقليم سراويس جنوب إندونيسيا ، وكثير من المحللين يرى أن مطامع الانفصاليين الذين يطالبون بالاستقلال عن إندونيسيا على غرار ما حدث في تيمور الشرقية هي التي وراء أحداث العنف الطائفي .

٥) مما يتوقف أمامه الإنسان أنه صدر قبل أيام تصريح للرئيس الأمريكي يحذر الجيش الإندونيسي من القيام بانقلاب عسكري ضد الرئيس المنتخب ، ثم صدر بعدها بأيام تصريح رئيس الدولة عبد الرحمن واحد الذي يتهم فيه عدداً من قادة الجيش أنهم وراء هذه الأحداث ، وأشار إلى إحالة عدد منهم إلى الاستيداع ، وقال : « إننا لا نعلم أين ستكون الأحداث القادمة » ؟

ثالثاً : خلاصة وبيان :

أمام هذه الأحداث يتساءل المسلم : أين نصرة المسلمين بعضهم بعضاً ؟ وقد أمرهم الله تعالى بالتناصر فقال : { **وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر** } ؟! ، وسوف أركز هنا في هذه الخلاصة على بعض الحقائق مع التذكير بأمر هام :

(١) أرشد الله تعالى إلى سنن اجتماعية لا بد من استيعابها لاتخاذ الأسباب للتحقق والاستفادة ، منها :

❁ القوة المادية لا تدوم لمن يمتلكها إلا إذا استخدمها في إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، قال تعالى : { **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه** } ، وقال عزَّ وجلَّ : { **وتلك الأيام نداولها بين الناس** } ، وعليه فلا بد من اتخاذ اللازم لامتلاك القوة من جانب أهل الحق حتى نرى هذه السنة ماضية في مقبلات الأيام

❁ أهل الحق هم الفائزون حتى ولو قُضيَ عليهم بسبب تمسكهم بالحق ، وليراجع المسلم سورة البروج ، وإن كنا نعتقد بأن أتباع خاتم المرسلين ﷺ لن يُقضى عليهم من قبل عدوهم ، لوجود طائفة ظاهرة على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، وإن كان الإسلام وأهله قد يعانون من غربة قال عنها الرسول ﷺ : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » رواه مسلم .

❁ هذا الواقع ينبغي ألا يبعث على اليأس والإحباط ، وإنما يجب أن يحيي في نفوس المسلمين الأمل ، ولنا في سلفنا قدوة ، فقد نقل الله تعالى لنا عنهم هذه الروح فقال تعالى في شأن غزوة الخندق : { **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً** } [الأحزاب : ٢٢] . ونقل تعالى لنا في أعقاب غزوة أحد موقفهم وسلوكهم فقال : { **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ❁ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** } [آل عمران : ١٧٣-١٧٤] .

(٢) لا بد لنا معشر المسلمين من الاستيقاظ والنهوض من قريب لنحقق فقه الدين بالاستمساك بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح مصداق قول الله تعالى : { **فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم ❁ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** } [الزخرف : ٤٣-٤٤] .

هذا الفقه في الدين هو الذي يجعلنا نتخذ الموقف الصحيح من العدو والصديق ، وهذا الموقف البصير هو الذي تقبل أعمال صاحبه ، وهو الذي يجعلنا قادرين على إنزال النصوص على الواقع مع

فقه قوله تعالى : { **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** } [البقرة : ٢١٧] .

وهذا الفقه هو الذي يمكن من اتخاذ الأسباب لقيام أمة خاتم المرسلين بمهمتها مصداق قول الله تعالى : { **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** } [البقرة : ١٤٣] ، فالشهادة لا تكون إلا ممن يفقه الدين والواقع حتى يكون قادراً على أن يقول للمحسن أحسنت ، وأن ينكر على فاعل المنكر ويقول له أسأت .